(مستويات الحرب النفسية)

التدريسية: م.م. نيران وليد جبار

كلية الآداب

٢٠٢٣_٢٠٢٤

مادة الحرب النفسية_ المحاضرة الثانية

مفهوم الحرب النفسية

قبل الوصول إلى فهم لمدلولات الحرب النفسية، فإنه ينبغي لنا أن نعي الهدف من الحروب سواء كانت تقليدية أو غير تقليدية، وهو إجبار الخصم على الاستسلام وقبول الهزيمة، وعليه تصبح القوة التقليدية من طائرات وبوارج وأساطيل ليست هدفا، وإنما وسيلة لتحقيق الهدف وهو الاستسلام ولو حدث هذا الاستسلام دونما قتال لما استخدمت القوة التقليدية ولذلك نقول أن الهدف من الحروب هو قهر الخصم وإجباره على الاستسلام، وهو هدف نفسي بكل ما تعنيه الكلمة من معنى وقد تطور مفهوم الحرب النفسية ليصبح أكثر شمولية لقدرته على إحداث تغييرات مختلفة في الاتجاهات، وتشكيل السلوك وهنا يشير عبد السلم زهران إلى أن الحرب النفسية هي تعديل للسلوك، وميدان الحرب النفسية هو الشخصية، وهي حرب دعاية وكلمات وإشاعات تزلزل العقول وتذل إرادة الرجال، وتعمل على تقويض الروح المعنوية للعدو حكومة وشعبا، وهي حرب ضروس طاحنة تستخدم أشد أنواع الاسلحة فتكا في تدمير التركيبية النفسية للشخصية .

الحرب النفسية متفاوتة المضمون في فكر و تصور الدارسين لها والكاتبين لذا نجد مجموعه كبيرة من المصطلحات التي شاعت عن الحديث عن الصراع الأيديولوجي الذي يسود العالم اليوم ومن هذه المصطلحات – الحرب الباردة – الحرب المعنوية – الحرب السياسية الحرب الدماغية حرب الدعاية حرب الإشاعة – حرب السيكولوجية – حرب الدهاء – وقد استخدمت بعض هذه الاصطلاحات على انها مترادفات للحرب النفسية وحتى كمضمون موجودة منذ بدايات الصراع الإنساني فاختلاف الاصطلاح يرجع الى اختلاف المضمون فمثال البريطانيون يسمون النشاط الذي يطلق عليه الأمريكيون اسم الحرب

النفسية يطلقون عليها الحرب السياسية، وفي عام ١٩٥٣م اصبحت الحرب النفسية تعني بالحرب الباردة اي النضال العالمي بين الشرق والغرب.

عرفت الدكتورة حميدة سميسم الحرب النفسية بأنها نوع من القتال النفسي يتجه إلا للعدو ولا يسعى إلا لتحطيم النواحي المعنوية له بجميع الوسائل، للقضاء على أية صورة من صور الثقة بالنفس، التي قد تولد فيه المقاومة أو عدم الإذعان، وبعبارة أخرى أنها تسعى إلى الإقناع والاستسلام"، وإنما تهدف إلى تحطيم الإرادة الفردية، وتحطيم الثقة في الذات القومية أي فقدان المواطن ثقته بذاته في مواجهته لعدو يسعى للحصول على بعض التنازلات، إن لم تكن القضاء على المجتمع الذى ينتمى إليه المواطن واحتواؤه كليا بما يعنيه ذلك من فرض التبعية على ذلك الكيان .

مستويات الحرب النفسية

١. الحرب النفسية كاستراتيجية وتأتي في مقدمة مستويات الحرب النفسية من خلال معالجتها للتأثير الشامل للاستراتيجية بأوسع معانيها في الوضع النفسي للعدو واستعداده للمقاومة وقد أشار العديد من كبار المنظرين الاستراتيجيين في العالم إلى الأهمية البالغة والحاسمة للتأثير النفسي للاستراتيجية على الرغم من أنهم لم يستخدموا اصطلاح الحرب النفسية فقد أشار (كلاوز فيتز) المنظر الألماني المعروف إلى هذه الحقيقة عند الحديث عن أهمية (الاشتباك المحتمل) في القضاء على طاقة العدو بقوله : (إن

مجرد ترتيب القوات المسلحة في نقطة معينة، يجعل الاشتباك ممكنا ومحتملا، بدون أن يكون هنا دوما مجال للاشتباك فهل ينبغي اعتبار هذا الإمكان حقيقة أن شيء حقيقي والجواب هو أن هذه الإمكانية بدون شك تصبح حقيقة من جراء نتائجها ولا تلبث هذه التأثيرات المختلفة والنتائج أن تظهر لذا ينبغي أن نعتبر الاشتباكات المختلفة اشتباكات حقيقية نظرا لنتائجها فعندما تقوم إحدى المفارز بقطع طريق التراجع على عدو فار ثم نجد أن هذا العدو يستسلم بدون مقاومة فإن سبب هذا الاستسلام هو الاشتباك المحتمل الذي تمثله المفرزة (ومن ثم ينتقل هذا المستوى التكتيك البسيط بوصفه حالة عامة إلى صراع الجيوش وعلى مستوى قومي شامل إذ (أن تدمير قوة القتال المعادية والقضاء على طاقة الخصم لا تتم إلا بفضل نتائج الاشتباك وآثاره سواء أحدث هذا الاشتباك فعلا أو كان مطروحا في ساحة المعركة بدون أن يقبله أحد الاطراف وكذلك أكد ذلك اليدل هارت في مذكراته عند تناوله الطبيعة الاستراتيجية الهجومية ضمن النهج غير المباشر أن نحر العدو في المجال النفسي ما هو إلا نتيجة للضغوط المادية التي

نستخدمها لتترك أثرها على تفكير القيادة ويبرز هذا الأثر بقوة عندما يتحقق العدو من خسارته لميزاته بصورة مباغته وعندما يشعر أنه في حالة عجز من مجابهة حركات خصمه بحركات مضادة وفي النهاية فإن دحر العدو نفسيا وقهره إنما يتبع بصورة أساسية من الشعور بالوقوع بالشرك أو المصيدة وتتجلى أهمية التأثير السيكولوجي للاستراتيجية لعدة عنصرا حاسما في خلق الانطباع في ذهن قادة العدو وجنوده أو عند معظم السكان المدنيين بل وعند هذه الأطراف جميعا بشكل عام وإيهامهم بأن الحرب خاسرة وبأن المقاومة المنظمة هي عمل بلا جدوى وفي مثل هذه الحالة فإن الدافع المسيطر على معظم الأفراد هو أن يهتم كل بنفسه فتكون النتيجة الاستسلام المنظم أو انهيار الأطر السلطوية والعسكرية لذا فإن جوهر الحرب النفسية الاستراتيجية هو بلوغ هذا الوضع من دون برهان جسدي الانعدام الأمل في القتال أي قبل أن يستنفد العدو بشكل عملي قدرته على المقاومة وفي الحالات الأكثر تأثيرا ووقعا لا تستخدم الاستراتيجية السيكولوجية ، فالشعور بعدم الجدوى من المقاومة لا يعكس علاقات القوى الحقيقية ولولا الوهن النفسي الذي أصابه لكان من شأن العدو أن يمنع الهزيمة ولكن أين يكمن سر سيكولوجية الاستراتيجية ؟ هل في تحقيق انهيار العدو المفاجئ إن مفاجأة العدو تكاد تكون أكثر المتغيرات وراء ذلك وتجربة الحرب العالمية الثانية تقدم لنا أكثر من دليل على ذلك والانتصار الألماني الصاعق على جيكوسلوفاكيا ثم على فرنسا إذ التقت عوامل الزمان والمكان والأسلوب التحقيق صدمة كبرى.

أما (لينين) فإنه على الرغم من إهماله لعنصر المباغتة في الحرب النفسية الاستراتيجية إلا أن مفهومه عن التأثير السيكولوجي للاستراتيجية لا بخرج عن إطار ما ذكرناه ، فهو يرى أن أصح استراتيجية في الحرب هي التي تؤجل العمليات حتى يصل الانحلال المعنوي لدى العدو إلى حد يجعل الضربة القاضية ممكنة وسهلة.

٢ . الحرب النفسية الاستراتيجية وتوصف بأنها الحرب التي تتميز بالشمول والامتداد لأنها توجه إلى جمهور كبير وعلى مساحة شاسعة وغير محددة بزمان أو مكان وتوجه عادة إلى شعب العدو وقواته والمناطق الموجودة تحت سيطرته لإضعاف معنوياته فهي في الوقت الذي تشمل منطقة محيطة بالهدف فإنها تشمل أيضا الجسد القومي المعادي بأكمله وهدفها الأساس هو التأثير في الآراء ووجهات النظر والسلوك المساعدة السياسة الخارجية على تحقيق أهدافها لذا فهي تسعى لاستغلال النكسات العسكرية والانحطاط السياسي والاجتماعي والتدهور الاقتصادي والعجز في المواد الغذائية والاستهلاكية ... إلخ، وعلى أساس ذلك فإن أهدافها أكثر تواضعا مما تسعى إليه الحرب النفسية بالاستراتيجية وتكاد تقترب

بشكل تام من الحرب النفسية التكتيكية إذ لا تستهدف تحقيق انتصار شامل وإنما خلخلة وتقويض مقاومة العدو.

٣. الحرب النفسية التكتيكية : وهي حرب الصدام المباشر مع العدو وتوجه عادة ضد جيوش العدو في ميدان القتال أو في قواعده أو ضد رعاية المتواجدين في منطقة القتال وتكون العمليات النفسية في هذه الحالة عمليات تستهدف أضعاف مقاومة قوات العدو أو مطالبة الشعب بالتعاون مع القوات المسلحة المتقدمة وضع العدو في حالة نفسية هي حالة الهزيمة والاستسلام ، ولكنها أحيانا تخرج عن هذا الإطار حينما تكون موجهة إلى فئة معينة (أقليات عرقية ودينية) أو مجموعات معينة في مراكز السلطة داخل قيادة العدو ومراكزه السلطوية لتحقيق أهداف معينة محددة ومن ثم تخرج من منطقة القتال الفعلي ، وتختلط بالحرب النفسية الاستراتيجية بشكل واضح ولكن الفارق بين الحرب النفسية الاستراتيجية والحرب التكتيكية يظل محصورا في مسألة الحجم فالحرب النفسية الاستراتيجية تهدف إلى التأثير في قطاعات أوسع من السكان وفي منطقة جغرافية أوسع ولمدة زمنية أطول بشكل عام وهكذا فأن الغارات الاستراتيجي الموجهة للأضرار بمعنويات السكان المدنيين وضرب المراكز المدنية الكبرى هي حرب نفسية استراتيجية بينما يعد القصف المدفعي لغرض الإزعاج وإقلاق الراحة المصحوبة ببعض أنواع (تكتيكات الفزع (من قبيل الحرب النفسية التكتيكية ولما كان التميز كما وليس نوعا ، فإنه لا يبدو واضحا على الدوام.